

التبيان في تفسير القرآن

(237) يتساوى الظلمات والنور. ثم قال هل جعلوا يعني هؤلاء الكفار شركاء في العبادة خلقوا أفعالا مثل خلق الله، من خلق الاجسام والالوان والطعوم والاراجيح، والموت والحياة، والشهوة والنفار، وغير ذلك من الافعال التي مختص تعالى بالقدرة عليها فاشتبه ذلك عليهم، فظنوا انها تستحق العبادة، لان افعالها مثل افعال الله، فاذا لم يكن ذلك شبيها بل كان معلوما لهم ان جميع ذلك ليست من جهة الاصنام، فقل لهم الله خالق كل شيء اي هوخالق جميع ذلك يعني ما تقدم من الافعال التي يستحق بها العبادة. وقوله " وهو الواحد القهار " اي الخالق لذلك واحد لاثاني له وهو الذي يقهر كل قادر سواه لايقدر على امتناعه منه. ومن تعلق من المجبرة بقوله " قل الله خالق كل شيء " على ان أفعال العباد مخلوقة الله، فقد أبعد، لان المراد ما قدمناه من أنه تعالى خالق كل شيء يستحق بخلقه العبادة دون ما لا يستحق به ذلك. ولوكان المراد ما قالوه لكان فيه حجة للخلق على الله تعالى وبطل التوبيخ الذي تضمنته الآية إلى من وجه عبادته إلى الاصنام، لانه إذا كان الخالق لعبادتهم الاصنام هو الله على قول المجبرة فلاتوبيخ يتوجه على الكفار، ولالوم يلحقهم بل لهم ان يقولوا: إنك خلقت فينا ذلك فما ذنبنا فيه ولم توبخنا على فعل فعلته؟ فتبطل حينئذ فائدة الآية. على أنه تعالى إنما نفى ان يكون أحد يخلق مثل خلقه، ونحن لانقول إن احدا يخلق مثل خلق الله، لان خلق الله اختراع مبتدع، وافعال غيره مفعولة في محل القدرة عليه مباشرة او متولدا في غيره بسبب حال في محل القدرة ولايقدر أحدنا على اختراع الافعال في غيره على وجه من الوجوه، ولان احدنا يفعل ما يجربه نفعا او يدفع به ضررا، والله تعالى لايفعل لذلك فبان الفرق بين خلقنا وخلقه. ولان احدنا يفعل بقدرة محدثة. يفعلها الله فيه والله تعالى يفعل، لانه قادر لنفسه. وايضا فان ههنا اجناسا لانقدر عليها، وهو تعالى قادر على جميع الاجناس، ونحن لانقدر ان نفعل بقدرة واحدة في وقت واحد في محل واحد